المقدمة الطللية في ضوء التفسير الأسطوري للأدب – الشعر الجاهلي تفسير أسطوري لـ "مصطفى عبد الشافي الشورى" نموذجا–.

فريد زغلامي
جامعة العربي التبسي، تبسة

ملخص:

تسعى هذه الدراسة، من منظور نقد النقد التطبيقي، إلى معاينة صورة المقدمة الطللية في التفسير الأسطوري عند " مصطفى عبد الشافي الشورى" من خلال كتابه " الشعر الجاهلي تفسير أسطوري "، ومناقشة الهالة التقديسية التي أضفاها، مثله مثل نقاد الأسطورة، على المرأة الظاعنة والحيوان في الظاهرة الطللية، مؤشرة على الإسقاطات والتمحّلات والإكراهات المنهجية جراء التلقي السلبي الناجم عن الاستسهال في الأخذ، والتسرع في النقل للإجراءات والأدوات النقدية التي لفظتها بيئات ثقافية تختلف عن واقع الشعر الجاهلي والثقافة العربية عموما.

Résumé:

Cette Intervention sert - d'une opinion critique de la critique appliqué – a examiné l'image de l'introduction "TALLALYA" dans l'interprétation légendaire auprès " Mustapha Abed El chafi El choura" a travers de son livre " les poèmes pré –islamique - interprétation légendaire -" , et analyser les cas sacrées - lui-même comme les critiques de la légende – sur la femme nomade , et l'animal dans le phénomène "TALLALYA", signalant les projections méthodiques dû au réception négatif a cause de la facilité et la simplicité d' apprendre, et la précipitation de prendre les procédures et les instruments critique posé par des milieux culturels différent généralement du poème pré - islamique.

توطئة:

حظي الاتجاه الأسطوري في النقد الأدبي منذ النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي بحفاوة بالغة من لدن عدد كبير من النقاد العرب، ولعلنا لا نجانب الصواب حينما نقول: إن الاتجاه الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي كان أكثر رواجا في الساحة النقدية العربية مقارنة بغيره من التفسيرات السياقية؛ إذ العملية الإحصائية للدراسات التي استنامت إلى

آليات التفسير الأسطوري وارتضتها منهجا في التحليل ربما تثبت بعض هذا الزعم.

فمن بين الدراسات والبحوث التي عكفت على تفسير النصوص الشعرية وفق إجراءات الاتجاه الأسطوري نجد: المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعتها (1970م) لـ" عبد الله الطيب"، وقصة ثور الوحش وتفسير وجودها في القصيدة الجاهلية (1969م) لعبد الله الجبار المطلبي"، والصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث (1976م) لـ " نصرت عبد الرحمان "، والتشكيل الخرافي في شعرنا القديم(1978م) والتفسير الأسطوري للشعر القديم (1981م) لـ " أحمد كمال زكي "، والشعر الجاهلي: قضاياه الفنية والموضوعية (1979م) لـ " إبراهيم عبد الرحمان "، والصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها و تطورها) (1980) لـ "علي البطل"، وقراءة ثانية لشعرنا القديم (1981م) لـ" مصطفى ناصف"، والملعقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ (1981م) لـ " نجيب البهبيتي"، شعر الرثاء في العصر الجاهلي (1983م) والشعر الجاهلي تفسير أسطوري (1996) لـ "مصطفى عبد الشافي الشورى"، والصورة الفنية في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق (1984م) لـ"عبد القادر الرباعي"، وبناء الصورة في البيان العربي: موازنة وتطبيق (1987م) لـ "البصير كمال حسن"، والسّبع المعلّقات[مقاربة سيمائيّة / أنتروبولوجية لنصوصها](ط1، 1998) لـ " عبد الملك مرتاض"، والمرأة: المثال/المقدس (1992م) "، وأنثربولوجية

الأدب – دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان (2009م) لـ" قصي الحسين"، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام (1995م) لـ " النعيمي إسماعيل"، ورمز الماء في الأدب العربي (2000م) لـ" أنس ثناء الوجود"، المرأة المثال في الشعر الجاهلي (2000م) لخليل الموسى"، والصورة الفنية للمنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي (2000م) لعماد علي الخطيب"...وغيرها[1].

إن إلقاء نظرة سريعة على هذه الدراسات يؤكد لنا بأن الشعر الجاهلي قد استحوذ على أغلبها، إن لم نقل على كلها، فكان في كثير من الأحيان قطب الرحى في الكتابات النقدية القائمة على آليات التفسير الأسطوري. ومن بين هذه الدراسات نجد: دراسة "مصطفى عبد الشافي الشورى" في مؤلفه "**الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**" (ط1، 1996م).

تعد المقدمة الطللية من بين الظواهر الإبداعية الكبرى في تراثنا العربي التي كانت مجالا خصبا للكثير من التفسيرات الأسطورية،

---

[1]) استفدنا في تدبيج هذه الدراسة الإحصائية: إبراهيم عبد العزيز السمري، اتجاهات النقد الأدبي العربي للقرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص ص 158-163، وعبد الفتاح محمد أحمد، المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي دراسة نقدية، دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص ص 176-203، وعماد علي الخطيب: الصورة الفنية الأسطورية، دار جهينة، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص ص 65-94، وقصي الحسين، أنثروبولوجية الأدب – دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص ص 400-403.

باعتبارها، حسب نقاد الأسطورة، تكتنز طقوسا ومعتقدات وشعائر وثنية عبدها الشاعر الجاهلي، فتبدت مشرقة في افتتاحياته الطللية. و" مصطفى عبد الشافي الشورى" واحد من بين الباحثين العرب الذين درسوا المقدمة الطللية بآليات التفسير الأسطوري، فقد محض الباب الثاني من كتابه المذكور آنفا للدراسات التطبيقية على الشعر الجاهلي متناولا في جزء منه صورتين من الصور التي كثيرا ما تتكرر في المقدمة الطللية، وهما: صورة المرأة الظاعنة وصورة الحيوان.

1- صورة المرأة الظاعنة في المقدمة الطللية:

لاشك أن المرأة قد شكّلت قطبا هاما في القصيدة الجاهلية؛ إذ كانت محور اهتمام الشاعر الجاهلي، فدبج في جمالها ومفاتنها كثيرا من القصائد، بحيث لا يكاد يختلف اثنان على أن المرأة كانت من أبرز الصور التي استوقفت الشاعر الجاهلي في المقدمة الطللية، فوقف على ديارها التي كانت تزايلها، وشبّب بها، وصور ظعنها وارتحالها، غير أن المرأة لم تكن دائما الباعث الحقيقي لوقوف الشاعر على الديار وبكائها، فقد يكون الدّاعي للوقوف على الأطلال هو رثاء لقبيلة الشاعر، أو إحدى القبائل الأخرى، وما حلّ بها من الهوان أو الدمار، فهذا " جابر بن حني الثعلبي" يرثي في طلليته حال قومه، وقد تفرقت كلمتهم، وتشتت أمرهم، وصاروا يَقْبَلُوا الدِّيَّاتِ على رجال منهم، يقول[2]:

---

[2] المفضل الضبي: المفضليات، تح (أحمد شاكر وعبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1963، المفضلية 42، ص 210.

لِثَعْلَبَ أَبْكِي إِذْ أَثَارَتْ رِمَاحَهَا غَوَائِـلَ شَـرٍّ بَيْنَهمـا مُتَـثَلِّمِ

وهذا "عبيد بن الأبرص" يصرح بأنه يريد من بكاء الديار رثاء قبيلته بني سعد بني ثعلبة، فيقول[3]:

لِـمَنْ طَلَلٌ لَمْ يَعْفُ مِنْـهُ الـمَذَانِبُ فَجَنْبَـا حِبِّـرٍ قَـدْ تَعَفَّـى فَوَاهِـبُ

دِيَارُ بَنِـي سَعْدٍ بن ثَعْلَبَـةَ الأُولَـى أَذَاعَ بِهِمْ دَهْرٌ عَلَـى النَّـاسِ رَائِبُ

فَـأَذْهَبَهُمْ مَـا أَذْهَـبَ النَّـاسَ قَبلَهُمْ ضِرَاسُ الحُرُوبِ وَالمنَايَا العَوَاقِبُ

غير أن "مصطفى الشورى" يقطع في دراسته بأننا لا نظفر في« الشعر الجاهلي على أطلال بدون ذكر المرأة»[4]، واتكاءً على طرحه هذا راح يؤكد على أن المرأة تبدو «عنصرا مهما من عناصر الطلل، ولاشك أن ارتباط رحيل هذه المرأة بإقفار الديار يدل على ما لها من قدرة على الخصب واستمرار الحياة، والذي يمنح الخصب والنماء والحياة ويحيل

[3] عبيد بن الأبرص: الديوان، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 27.

[4] مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص 93.

المكان إلى الجدب هو الإله، لأنه ما من امرأة حقيقية تقفر ديار قومها وتصير خرابا إذا ما رحلت»[5]، ويعضد "مصطفى الشورى" رؤيته حول قداسة المرأة وألوهيتها في الشعر الجاهلي، وفي المقدمة الطللية على وجه الخصوص، واعتمادا على آليات الاتجاه الأسطوري، بتقديم مجموعة من الشواهد الشعرية التي رأى بأنها كفيلة على تأكيد ما ذهب إليه، ومن بين ما استشهد به قول "المرقش الأكبر"[6]:

أَيْنَمَـا كُنْـتِ أَوْ حَلَلْـتِ بِـأَرْضٍ أَوْ بِـلَادٍ أَحْيَيْـتِ تِلْـكَ الـبِلَادَا

إِنْ تَكُـونِي تَرَكْـتِ رَبْعَـكِ بِالشَّـأ مِ وَجَـاوَزْتِ حِمْيَـرًا وَمُـرَادَا

فَـارْتَجِي أَنْ أَكُـونَ مِنْـكِ قَرِيبًـا فَاسْـأَلِي الصَّـادِرِينَ والـوُرَّادَا

و يقول "الأعشى"[7]:

عَهْـدِي بِهَـا فِـي الحَـيِّ قَـدْ سُـرْبِلَتْ هَيْفَـاءَ مِثْـلَ الـمُهْرَةِ الضَّـامِرِ

قَدْ نَهَدَ الثَّدْيُ عَلَـى صَـدْرِهَا فِـي مُشْـرِقٍ ذِي صَـبَحَ نَـائِرِ

---

[5] مصطفى عبد الشافي الشورى: الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص 93.

[6] المفضل الضبي: المفضليات، المفضلية رقم 129، ص ص 431-432.

[7] الأعشى: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1994، ص ص 92-93.

لَـوْ أَسْـنَدْتَ مَيْتًـا إِلَـى نَحْرِهَـا عَـاشَ وَلَـمْ يُنْقَـلْ إِلَـى قَـابِرِ

لقد تعارف أغلب دارسي الشعر الجاهلي منذ القديم على أن الصورة العامة التي ينهض عليها وجود المرأة في هذا الشعر أنها« مجرد جسد غَضٍّ بَضٍّ، يتلذذ به الرجل، ويشبع رغبته الجنسية منه، دون أن تكون شيئا آخر متمثلا في شيء آخر...»[8]، فقد كان الشاعر الجاهلي، في أغلب أحواله، يصور المرأة تصويرا ماديا حسيا، فيستغرق في وصف دقائق جسدها وأعضائها بصورة مفصلة في أحيان كثيرة، وكان هذا الاتجاه في وصف المرأة مبثوثا في شعر الرواد كـ "امرئ القيس" و"طرفة بن العبد" و"الأعشى" و"عمرو بن كلثوم"... وغيرهم، ومن أمثلة ذلك قول "عمرو بن كلثوم" في معلقته[9]:

تُرِيـكَ إِذَا دَخَلَـتْ عَلَـى خَـلَاءٍ وَقَـدْ أَمِنَـتْ عُيُـونَ الكَاشِـحِينَا

ذِرَاعَـيْ عَيْطَـلٍ أَدْمَـاءَ بِكْـرٍ هِجَـانِ اللَّـوْنِ لَـم تَقْـرَأْ جَنِينَـا

وَثَـدْيًا مِثْـلَ حُـقِّ العَـاجِ رَخْصًـا حَصَـانًا مِـنْ أَكُـفِّ اللاّمِسِـينَا

---

[8] عبد الملك مرتاض: المعلقات السبع تحليل أنتروبولوجي/سيمائي لشعرية نصوصها، دار البصائر، الجزائر، د. ط، 2012، ص 346.

[9] الزوزني: شرح المعلقات السبع، الشركة الجزائرية اللبنانية، الجزائر العاصمة، ط1، 2007، ص 10.

وَمَتْنَـــي لَدْنَـــةٍ سَـمَقَتْ وَطَالَـتْ رَوَادِفُهَـــا تَنُـــوءُ بِمَـــا وَلِينَـــا

كما كان الشاعر الجاهلي كثيرا ما يصور مغامراته الجنسية مع هذه المرأة، ولا نريد هنا أن نسوق تلك الأشعار التي تثبت هذا الزعم؛ لأنها أشهر من أن يُدلَّ عليها. فعلاقة الرجل بالمرأة في الجاهلية علاقة إباحية مطلقة بتواتر الروايات عن ذلك، وقرب من يروى زمنا إلى أولئك الشعراء، مع بعد زماننا نحن اليوم عليهم بأكثر من أربعة عشر قرنا؛ إذ تظهر صورة المرأة في الشعر الجاهلي مهزوزة من خلال القينات والمغنيات والراقصات اللائي كن يتخذن في حوانيت الخمارين، وكن محض جسد تتداوله الأيدي، ومن نماذج هذه الصورة قول "طرفة بن العبد"[(10)]:

فَـإِنْ تَبْغِنِـي فِـي حَلَقَـةِ القَـوْمِ تَلْقَنِـي وَإِنْ تَقْتَنِصْـــنِي فِـــي الحَوَانِيـــتِ تصْـــــــــــــــــطَدِ

وَإِنْ يَلْتَـقِ الحَــيُّ الجَمِيــعُ تُلَاقِنِـــي إِلَى ذِرْوَةْ البَيْتِ الشَّرِيفِ الـمُصَمَّدِ

نـــداميَ بِـــيضٌ كَـــالنُّجُومِ وَقَيْنَـــةٌ تَـرُوحُ عَلَيْنَـا بَـيْنَ بُـرْدٍ وَمُجْسَـدِ

---

10 المرجع السابق، ص 101.

رَحِيبٌ قِطابُ الجَيْبَ مِنْها رَفِيقَـــةٌ   بِجَـسِّ النُّـدامَى بَضَّــةُ المتَجَـرَّدِ

إِذَا نَحْـنُ قُلْنَــا أَسْـمِعِينَا انْبَـرَتْ لَنَــا   عَلَـى رِسْـلِهَا مَطْرُوقَـةً لَـمْ تَشَـدَّدِ

من هنا يبدو أن المرأة لم تكن مألوهه لها القدرة على الخصب واستمرار الحياة، كما يحاول أن يصور لنا بعض ذلك "مصطفى الشورى"، بل لم تكن قبل الإسلام على الأقل، وفي أغلب أحوالها، تتمتع بمكانة محترمة، ومنزلة اجتماعية مرموقة، فقد كان يطلبها الرجل في أكثر حالته للذّاته وللمضاجعة والفراش لا للعشرة والمودة، وحال النكاح في الجاهلية صورته لنا "عائشة" رضي الله عنها في صورة تشمئز منها النفوس وتعافها الفطر السليمة، فعن "عروة بن الزبير" أن "عائشة" زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن« النّكاحَ في الجاهليةِ كانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ يَخْطِبُ الرَّجُلُ إلى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أو ابْنَتَهُ فَيَصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا. ونِكَاحٌ آخرٌ كانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ من طَمْثِهَا أَرْسِلِي إلى فُلانٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا ولا يَمُسُّهَا أَبَدًا حتى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا من ذلك الرَّجُلِ الذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ وإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً في نَجَابَةِ الوَلَدِ فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحُ

الاسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرٌ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى المرْأَةِ كُلُّهُمْ يصيبها فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا تَقُولُ لَهُمْ قَدْ عَرَفْتُم الذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكِمُ وقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلان تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ الرَّجُلَ. وَنِكَاحٌ رَابِعٌ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى المرْأَةِ لا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا وَهُنَّ البَغَايَا كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ فَإِذَا حَمِلَتْ إِحْدَاهُنَّ ووَضَعَتْ حَمْلَهَا جَمَعُوا لَهَا وَدَعَوْا لَهُمْ القَافَةَ ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بالذِي يَرَوْنَ فَالتَاطَ بِهِ وَدُعِيَ ابْنُهُ لا يَمْتُنِعُ مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّه إلا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ»[11]. بل إن رجل الجاهلية كان يطلق المرأة لأوهى الأسباب وأتفهها، وإذا صح الخبر الذي يورده "المرزباني" في موشحه عن تطليق "امرئ القيس" لزوجته "أم جندب" بمجرد أن حكمت بشاعرية "علقمة الفحل" وتقدمه على "امرئ القيس"[12]، تبيّن أن المرأة لم تكن تحظى بتلك الهالة

---

[11] محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، تح (مصطفى ديب البغا)، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط3، 1987، ج5، رقم الحديث 4834، ص 1970.

[12] المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح (محمد حسين شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص 40.

التقديسية التي يحاول نقاد الأسطورة ، ومن بينهم "مصطفى الشورى"، أن يضفوها عليها لدرجة العبودية.

ولو كان عرب الجاهلية عبدوا المرأة وقدّسوها لما تحرّجوا من الانتساب إليها، حينما زعموا أن لله (تعالى عن ذلك علوا كبيرا) البنات، ولهم البنون، قال الله تعالى «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58)»[13]، ويفسر "عبد الرحمان بن ناصر السعدي" هاتين الآيتين قائلا: «... قالوا عن الملائكة العباد المقربين: أنهم بنات الله، "وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ": أي لأنفسهم الذكور، حتى إنهم يكرهون البنات كراهة شديدة، فكان "إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ": من الغم الذي أصابه "وَهُوَ كَظِيمٌ "أي: كاظم على الحزن والأسى، إذا بشر بأنثى، وحتى إنه يفتضح عند أبناء جنسه، ويتوارى منهم من سوء ما بشر به»[14].

إن الحبيبة الراحلة التي كان يبكي فيها الشاعر الجاهلي، على حد تعبير مصطفى الشورى، «انقطاع الحياة بالنسبة له؛ لأنه افتقد بني جنسه وكل ما يعنيه على الاستمرار في هذه الحياة»[15]؛ لأنها إله الحياة التي

---

[13] القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم، الآية 57–58 من سورة النحل.

[14] عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح (عبد الرحمان بن معلا اللويحق)، دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 417.

[15] مصطفى الشورى: الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص 97.

تهبهم الخصب والنماء، كانت كثيرا ما توأد في المجتمع الجاهلي وتدفن حية؛ وذلك خشية العار والفقر؛ إذ يذكر« الهيثم بن عدي أن الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة حتى جاء الإسلام»[16]، فحرّم هذا الفعل الشنيع، قال تعالى« وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا»[17]، قال تعالى «وَإِذَا الموءدَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» [18].

يذهب "مصطفى الشورى" إلى أن المرأة في المقدمات الطللية قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالشّمس وكانت رمزا لها، « فالشاعر الجاهلي بعد أن يقف على الأطلال ويبكي وحده أو يدعو رفيقيه للبكاء معه نراه يبدأ بذكر الحبيبة التي رحلت ويصفها بالشمس»[19]، وهكذا« يخيل إليّ أن المرأة التي بكي الشعراء لرحيلها كانت ترمز للشمس ربة الجاهليين...»[20]، وقد ورد تشبيه المرأة بالشمس في الشعر الجاهلي في مواضع كثيرة منها:

قول "سويد بن أبي كاهل اليشكري" [21]:

---

16 حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1998، ص 99.

17 القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم الآية 31 من سورة الإسراء.

18 القرآن الكريم: الآية 8-9 من سورة التكوير.

19 مصطفى الشورى: مرجع سابق، ص 94.

20 المرجع نفسه، ص 95.

21 المفضل الضبي: المفضليات، لمفضلة رقم 40، ص 191.

تَمْـنَحُ المِـرْآةَ وَجْهًـا وَاضِـحًا مِثْلَ قَـرْنِ الشَّـمْسِ فِـي الصَّـحْوِ ارْتَفَـــــعَ

وقول "قيس بن الخطيم"[22]:

تَبَدَّتْ لَنَا كَالشَّمْسِ، تَحْتَ غَمَامَةٍ بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا، وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ

فالمرأة في هذه المواضع وغيرها، حسب "مصطفى الشورى"، ما هي إلا رمز للشمس التي عبدها الجاهليون وقدّسوها، وما إن تغيب الشمس/المرأة حتى يبدأ العفاء والإقفار، فالمرأة/الإنسان أحد رموز الإلهة الشمس، مصدر الخير والخصب والنماء، فباكي الأطلال هو باكي المرأة/الشمس/ الإله الراحلة التي أدى رحيلها إلى خراب الديار.

لا ريب أن الشمس كانت في زمن موغل في القدم أحد الأجرام السماوية التي عبدها بعض سكان الجزيرة العربية، فمملكة "سبأ" التي أقيمت على أرض اليمن منذ أكثر من خمس وعشرين قرنا قبل الميلاد عبد سكانها الشمس، وسجدوا لها من دون رب العالمين، قال الله تعالى: « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ

---

22 قيس بن الخطيم: الديوان، تح (ناصر الدين الأسد)، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1967، ص 79.

فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمِ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدْت امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24)»[23]، ثم أصبحت هذه المملكة على التوحيد بعد أن آمنت ملكتها "بلقيس" مع "سليمان" عليه السلام، و لمّا مرّ الزمان وتوالت القرون كفر قومها بأنعم الله فدمرها الله تدميرا، قال تعالى: « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) »[24].

إن محاولة ربط الشعر الجاهلي بالوثنية وعبادة الكواكب، والانصراف عما عاداها من ديانات سماوية كانت منتشرة في أرض الجزيرة العربية قبل الإسلام، يومئ إلى أن المجتمع الجاهلي لم يعرف سوى هذه الصبائية، غير أن الاستقراء لديانات شبه الجزيرة العربية يؤكد خلاف ذلك، فقد كان« معظم العرب يدينون بدين إبراهيم عليه السلام منذ أن نشأت ذريته في مكة وانتشرت في جزيرة العرب، فكانوا يعبدون الله

---

[23] القرآن الكريم، الآية 20-24 من سورة النمل.

[24] القرآن الكريم، الآية 15-16 من سورة سبأ.

ويوحدونه ويلتزمون بشعائر دينه الحنيف، حتى طال عليهم الأمد ونسوا حظا مما ذكروا به، إلا أنهم بقي فيهم التوحيد وعدة شعائر من هذا الدين، حتى جاء عمرو بن لحي رئيس خزاعة »[25]، الذي غيّر دين الآباء والأجداد إلى عبادة الأصنام، ومثّلت هذه العبادة « أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم عليه السلام »[26]، وهم الذين كانوا يقولون « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى »[27]، كما أنه بعد تتابع الديانات السماوية الجديدة من يهودية ونصرانية« تضعضع بنيان الصابئة وخمد نشاطها»[28]، بل إن الطقوس والشعائر الوثنية قد درست، وخمدت جذوتها؛ لأن التاريخ العربي القديم قد « درس وباد، ولم يعد يروى ولا يعاد، فقد بادت طسم، وجديس، وجرهم، والعماليق، وعاد، وثمود ... فلم يصلنا مما قالوا إلا أقله، ولم يبق في التاريخ من معتقداتهم الوثنية، إلا مظاهر شاحبة لا تسمن من جوع، ولا

---

[25] صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام، دار الوفاء، مصر، ط21، 2010، ص 39.

[26] المرجع نفسه، ص 40.

[27] القرآن الكريم، الآية 03 من سورة الزمر.

[28] صفي الرحمان المباركفوري: الرحيق المختوم، ص 46.

تروي من ظمأ»[29]، ويحق لمتسائل أن يسأل: من حمل طقوس هؤلاء وشعائرهم الوثنية إلى عرب الجاهلية المتأخرة؟ والله تعالى يقول في شأن هذه الأقوام البائدة« وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى (50) وَثَمُودا فَمَا أَبْقَى (51) »[30]، وقال في قوم "عاد" « فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8)»[31]، وقال تعالى « أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الذِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ و ثَمُودَ وَالذِّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9)»[32]، ويذكر "وهب رومية" في هذا الصدد ملاحظة في غاية الدقة والأهمية، وهي أن المجتمع الجاهلي في هذه الفترة كان « يمر بمرحلة مهمة من التطور الروحي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وهي المرحلة التي أهلته لقبول رسالة السماء واحتضانها على النحو الذي نعرفه »[33]؛ إذ يذكر مؤرخو الأدب أنه لمَّا كان الإسلام، وَعظُمَ أمر النبي

---

[29] عبد الملك مرتاض: المعلقات السبع تحليل أنتروبولوجي/سيمائي لشعرية نصوصها، ص 31.

[30] القرآن الكريم، الآية 50-51 من سورة النجم.

[31] القرآن الكريم، الآية 8 من سورة الحاقة.

[32] القرآن الكريم، الآية 9 من سورة إبراهيم.

[33] وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس1996، سلسلة عالم المعرفة، رقم207، ص 41.

صلى الله عليه وسلم بين العرب أعد له "الأعشى بن قيس"«قصيدة يمدحه بها، وقصد الحجاز، فلقيه كفار قريش وصدوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حمراء يرجع إلى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل»[34].

ولو كانت العرب عابدة لمظاهر الطبيعة من شمس وغيرها، معتقدة فيها القدرة على الإخصاب والإنماء، كان من باب أولى أن تخلص عبادتها للماء التي كانت ترتحل من موضع لآخر باحثة عنه، مقتفية آثاره، فهو رمز الإخصاب، وسرّ الحياة واستمرارها، أكثر بكثير من الشمس التي تحرق، وبسببها تجف الأرض، ويندر الماء والعشب، قال الله تعالى « ... وَجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ»[35]، ونحن لا نخالف "مصطفى الشورى" عندما يرى بأن المرأة قد شبهت كثيرا بالشمس في الشعر الجاهلي، ولكن الرجل أيضا شُبّه بالشمس، كما في إحدى اعتذاريات "النابغة الذبياني"[36]:

فَإِنَّـــكَ شَـــمْسٌ، وَالملـــوكٌ إِذَا طَلَعْـتَ لـم يَبْـدُ مِـنْهُنَّ

---

[34] السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تح (جمعة الحسن)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 496.

[35] القرآن الكريم، الآية 30 من سورة الأنبياء.

[36] النابغة الذبياني: الديوان، تح (حمدوطماس)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص 20.

كَوَاكِـــــــــــــــــبُ كَوْكَـــــــــــــــــبُ

فهل كان الرجل/الشمس مقدسا وإلها أيضا؟ والمرأة قد شبهت بالبدر فهل هي رمز للقمر/الإله؟

لا شك أن طيف المرأة لم يكن يفارق الشاعر الجاهلي، وكانت هذه المرأة تمثل أنموذجا مركزيا في شعره، ولعل الشاعر الجاهلي كان في أكثر أحواله يصف منها ما تقع عليه عينه، وما يبديه النظر لا غير، وتشبيهه لها بالشمس إنما كان مستوحىً من البيئة التي كان يحيا فيها، وإن كان البحث لا يعدم وجود نوع من التقليد الفني، خاصة في المقدمات الطللية؛ لأن بعض الشعراء كشعراء المدن مثلا لم يعيشوا في البوادي، ولم يتنقلوا مع قبائلهم بحثا عن الماء والكلأ، ومع ذلك ورد في قصائدهم وصف للأطلال والوقوف عليها. أما عدُّ المرأة رمزا من رموز الشمس المعبودة، وأنها من آلهة الخصب والنماء، فهذا لا يمكن التأكيد عليه في غياب النصوص الشعرية والبحوث التاريخية والأركيولوجية.

ويذهب "مصطفى الشورى"– منساقا وراء من سبقه إلى هذا الطرح– إلى أن المرأة في الظاهرة الطللية هي« نفسها الشمس ورحلتها

رحلة عودة، وهكذا يتجدد الأمل لدى الشاعر في استمرار الحياة...»[37]؛ أي أن رحلة المرأة في الشعر الجاهلي هي رحلة الشمس في كل يوم، وبما أن "مصطفى الشورى" لم يقدم أي دليل شعري أو تاريخي يعضد به هذا الزعم؛ فإننا، على حد اطلاعنا، لم نقف على نص في الشعر العربي الجاهلي يذكر أن إحدى القبائل عادت إلى ديارها بعد الرحيل عنها. وإذا كانت المرأة رمز لرحلة الشمس، فلماذا لا تعود المرأة في رحلتها في اليوم الثاني كما تعود الشمس يوميا؟

2- صورة الحيوان في المقدمة الطللية:

إلى جانب الأوصاف التي قدمها الشعراء للطلل والحبيبة الظاعنة وعلاقتها بالشمس والخصب والنماء والحياة آثر الشعراء، يقول "مصطفى الشورى"، ذكر« بعض الحيوانات التي ترتع وتجري هنا وهناك بين هذه الأطلال، وذكر أيضا بعضا من أنواع النبات، وكأن المكان الذي أصبح قفرا في نظر الشاعر لم يكن كذلك في الحقيقة، فالحيوانات والنباتات دليل على استمرار الحياة وعلى الخصب والنماء»[38]، ويرى "مصطفى الشورى" أن وراء وجود الحيوانات الراتعة في طللية القصيدة الجاهلية رمز «يعود بنا إلى مفهوم الطوطمية عند العرب... فالحيوانات هذه من رموز الشمس،

---

[37] مصطفى الشورى، الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص 100.

[38] المرجع السابق، ص 97.

فإذا غابت الشمس واختفت عن العيون يظل ضيائها باقيا، ومن ثم تستمر الحياة والخصب»[39]؛ ذلك أن الإله لا يمكن أن يغيب عن العيون، وإذا غاب فإن آثاره باقية تدل على وجوده، وما هذه الآثار إلا الحيوانات التي تملئ مرابع الديار، وترتع بين أركانها، إذ يرمز وجودها إلى« الشعور باستمرار الحياة، وبعث الأمل في نفس الشاعر لا اليأس، مما جعله يتمسك بهذه الحياة، ويستأنف رحلته أو مسيرته في هذه الصحراء المترامية الأطراف»[40]، ومن شواهد الحيوانات الرائعة في أطلال الحبيبة الظاعنة، قول "زهير بن أبي سلمى"[41]:

فَعَـلَا فُـرُوعُ الأَيْهَقَـانِ وَأَطْفَلَـتْ بِـــالجَلْهَتَيْنِ ظبَاؤُهَـــا وَنَعَامُهَـــا

وَالعِـينُ سَـاكِنَةٌ عَلَـى أَطْلَائِهَـا عُـوذًا تَأَجّـلُ بِالفَضَـاءِ بِهَامُهَـا

و قول "عبيد بن الأبرص"[42]:

دَارٌ بِهَـــا عَـــيْنُ النِّعَـــاجِ رَوَاتِعًـــا تَعْـــدُو مَسَـــارِبَهَا مَـــعَ الأَرْآمِ

---

[39] المرجع نفسه، ص 97.

[40] المرجع السابق، ص 98.

[41] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 164.

[42] عبيد بن الأبرص: الديوان، ص 45.

نستنتج من الاقتباسات التي سقناها من كلام "مصطفى الشورى" آنفا أن الحيوانات التي نلتقي بها عادة في بعض طلليات الشاعر الجاهلي ما هي إلا رمز من رموز الشمس المعبودة؛ رمز للخصب والنماء واستمرار الحياة؛ لذلك قدّسها الشاعر الجاهلي، واتخذها طوطما يعبده، ويتقرب به إلى الإلهة الشمس. غير أن هذا الطرح يجعل أسئلة كثيرة تتوارد على أذهاننا منها: هل عبد الرجل العربي على أرض الجزيرة الحيوان فعلا؟ وهل حُفظ اتخاذ العرب للحيوان طوطما يعبد، وتتوجه إليه جموعهم في الصلوات؟ بل هل حفظ الشعر الجاهلي وهو ديوان العرب وتاريخهم هذه الصورة من العبادة؟ ثم لماذا يوجد الحيوان في الطلل البالي/النخر وهو رمز للشمس المعبودة إلهة الخصب والنماء والحياة؟

لعل من بين أوائل الباحثين الذين تنبهوا إلى فكرة الطوطمية في المجتمعات البدائية الفرنسي "كلود ليفي شتراوس"(Claude lévi Srauss)؛ حيث طبق هذه الفكرة على المجتمع الأسترالي ومجتمع الهنود الحمر في أمريكا الشمالية؛ إذ وجد أن هؤلاء كانوا يؤمنون بأن « مجموعة من الحيوانات كفيلة بأن تكلأهم وتحفظ أمنهم– إما على المستوى الفردي، وإما على المستوى الجماعي – من مكاريه الطبيعة، ومن تلك الحيوانات:

سمك القرش، والتماسيح والأفاعي ..»[43]، غير أن الناظر في التاريخ العربي قبل الإسلام، والمتأمل فيما نُقل إلينا من فنه وأشعاره، يجد أن فكرة الطوطمية لم تجد لها آذانا صاغية في المجتمع الجاهلي، هذا الذي، وعلى الرغم من وثنيته وشركه، لم يكن ليتدنى فكره إلى هذا المستوى من الانحطاط. ولعل من الأسباب التي تجعلنا نستبعد طوطمية المجتمع الجاهلي[44]:

1- بعد المسافة بين قارتي أستراليا وأمريكا الشمالية حيث الهنود الحمر وأرض الجزيرة العربية في آسيا من جهة، ورقي العبقرية الشعرية وصفائها فيما قبل الإسلام من جهة أخرى.

2- لا يكاد يذهب أحد من المستشرقين الذين درسوا المجتمع العربي قبل الإسلام إلى طوطمية المعتقدات الوثنية في ذلك المجتمع العربي القديم، وهي المعتقدات التي كانت تتمثل في عبادة الأصنام جهارا.

3- لو كان أجداد العرب يعبدون الثور والشمس لظل ذلك قائما إلى حدوث النهضة الشعرية قبل الإسلام.

---

[43] عبد الملك مرتاض: المعلقات السبع تحليل أنتروبولوجي/سيمائي لشعرية نصوصها، ص 24.

[44] ينظر: المرجع السابق، ص ص 25-26.

4- إن من أصول الطوطمية تحريم أكل الحيوان المقدس، والشجرة المباركة في حين لم تكن العرب تتحرج في أكل أي من الحيوانات، ولا في التهام أي من ثمار الأشجار.

كما أن القرآن الكريم لم يذكر لنا أن العرب قدّسوا الحيوان، ورفعوه إلى هذه المكانة، التي يحاول نقاد الأسطورة أن ينزعوها عليه جريا وراء رؤى وفلسفات لا تتواءم وحياة العربي في أرض جزيرته، بل إن القرآن الكريم كثيرا ما كان ينبهنا إلى أن المشركين كانوا يتخذون أصناما، ولم تكن هذه الأصنام حيوانات، يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى.

ولم تكن العرب تتحرج من اصطياد أي من الحيوانات وأكله، ولا من امتطائها وتسخيرها في حياتهم الشظفة؛ ذلك أن القبائل الطوطمية كانت إذا اتخذت طوطما لها «حرمت قتله وأكله، وحرمت الزواج بين الذكور والإناث الذين ينتمون إلى ذلك الطوطم»[45]، وتوجد كثير من الأشعار الجاهلية تتحدث عن عقر الإبل، وهي أنْفَس ما كان يمتلكه العربي، واستخدامها، وقتل الثور وأكله، في حين لا يوجد نص شعري، ولا تاريخ موثق يثبت أن العرب كانت لا تقتل هذه الحيوانات، ولا تأكلها

[45] حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ص 176.

تقديسا لها. فأما عقر الناقة فقد ورد في المعلقات كما ورد في غيرها، من ذلك قول "طرفة بن العبد"[46]:

وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخافَتِي بَوَادِيهَا أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ*

فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيفٍ جُلَالَةٌ عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالوَبِيلِ يَلَنْدَدِ

يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الوَظِيفُ وَسَاقُهَا أَلَسْتَ تَرَى أَن قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤَيِّدِ

وَقَالَ: أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمَّدِ

وَقَالَ: ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفْعُهَا لَهُ وَلَا تَكُفُّوا قَاصِيَ البَرْكِ يَزْدَدِ

فَظَلَّ الإِمَاءُ يَمْتَلِلْنَ حُوَارَهَا وَيُسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ المسَرْهَدِ**

---

[46] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص 105.

* البرك: الإبل الكثيرة الباركة، الهجود: جمع هاجد وهو النائم.

** الحوار: للناقة بمنزلة الولد للإنسان، يعم الذكر والأنثى، السديف: السنام، المسرهد: المربى.

وقول "امرئ القيس"[47]:

وَيَـــوْمَ عَقَـــرْتُ لِلْعَـــذَارَى مَطِيَّتِـــــــي   فَيَـــا عَجَبًـــا مِـــنْ كَوْرِهَـــا المتَحَمَّـــــــلِ

فَظَـــلَّ العَـــذَارَى يَـــرْتَمِينَ بِلَحْمِهَـــــــا   وَشَـــحْمٍ كَهُـــدَّابْ الـــدَّمْقَسِ المفَتَّـــــــلِ

وكانت العرب إذا عافت البقر الماء لكدره « تضرب الثور ليقتحم الماء؛ لأن البقر تتبعه كما تتبع أتن الوحش الحمار»[48]، ولو كان مقدسا لما تجرأت على ضربه، مثلما نلحظ بعض ذلك في المجتمعات الطوطمية في حياتنا المعاصرة كما في بعض أقطار الهند وغيرها.

ومن ذلك قول "الأعشى"[49]:

وَإِنِّـــي وَمَـــا كَلَّفْتُمُـــونِي وَرَبِّكُـــمْ   لَـيَعْلَمَ مَـنْ أَمْسَـى أَعَـقَّ وَأَحْوَبَـا

لَكَـالثَّوْرِ، وَالجِنِّـيُّ يُضْـرِبُ ظَهْـرُهُ   وَمَـــا ذَنْبُـــهُ أَنْ عَافَـــتِ المـــاءَ

[47] الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص11.

[48] حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ص 176.

[49] الأعشى: الديوان، ص 09.

مَشْـــــــــــــــــــرَبَا

وَمَــا ذَنْبُــهُ أَنْ عَافَــتِ المـــاءَ بَـــــــــــــــــاقِرُ؛ وَمَـــا إنْ تَعَـــافُ المـــاءَ إِلَّا لِيُضْـــــــــــــــرَبَا

وإن الشاعر الجاهلي الذي رأى "الشورى" أنه عندما « يشبه ناقته بثور وحشي، فذلك لأن الثور كان مقدسا، وكان رمزا للخصب واستمرار الحياة، كما كانت الناقة»[50]، كان يصطاد الثور كلما سنحت له الفرصة لذلك، كقول "امرئ القيس"[51]:

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَـوْرٍ ونَعْجَـةٍ وَبَـيْنَ شَـبُوبٍ كَالقَضِـيمَةِ قَرْهَـبِ*

وَظَـلَّ لِثِيـرَانِ الصَّـرِيمِ غَمَـاغِمُ يُدَاعِسُـهَا بِالسَّـمْهَرِيِّ المعَلَّـبِ**

يضاف إلى ذلك أن حضور الحيوان في المشهد الطللي، الذي صارت فيه ديار الحبيبة رسما دارسا وأطلالا بالية، لا يوحي بأن هذا الحيوان رمز لاستمرار الحياة وخصبها، بل صار رمزا من رموز إقفار

---

50 مصطفى الشورى: الشعر الجاهلي تفسير أسطوري، ص 111.

51 امرؤ القيس: الديوان، ص 77.

* القرهب: الضخم.

الديار وعفائها، إن جاز القول برمزية الوصف عند الشاعر الجاهلي، وإن كنا نعتقد أنه كان يصور ما تقع عليه عينه، لأنه برحيل الحبيبة عن هذا الموضع يجد الحيوان فرصة سانحة للتمتع بالحياة في هذه الديار المتروكة.

خاتمة:

أخيرا يمكن القول: إن " مصطفى عبد الشافي الشورى " في مؤلفه "الشعر الجاهلي تفسير أسطوري" حاول أن يربط بين الظاهرة الطللية وعقائد الجاهليين الأوائل من عبادة للشمس/المرأة/الحيوان، إلا أنه لم يتتبع هذه الصلة الموغلة في القدم بين الطلل والمرأة والشمس والحيوان، إن وجدت؛ لأن ذلك ليس بالأمر الهين حين تندر، بل قد تنعدم، النصوص والوثائق التاريخية، وتضّنُ الكشوف والحفريات الأركيولوجية؛ فهذه الافتراضات التي قدّمها تحتاج إلى توثيق تاريخي بالعودة إلى بدايات الفكر البشري، وأنّى له ذلك، وقد دُرست آثار تلك الأمم، فلم تعد تذكر ولا تعاد.